

الشكلانية الروسية الإمتدادو التطور

Russian Formalism: Extension and Evolution

الدكتور: حسين حليمي*1

halimihoussyen@gmail.com، جامعة الشلف (الجزائر)

تاريخ الاستلام: 2021/06/20 تاريخ القبول: 2021/06/20 تاريخ النشر: 2021/07/29

ملخص:

عرف النقد الغربي مراحل متباينة على محطات مختلفة أسفرت عن ظهور عدة مناهج نقدية مختلفة تباينت في آرائها الفكرية. حيث فتحت باب الصراع و تضارب في الساحة النقدية التي كان فيها الصراع بين المذاهب النقدية، كما كان الفضل لمذهب على آخر فكل مدرسة نقدية ظهرت على أشلاء مدرسة أخرى و لعل أهم هذه المدارس المدرسة الشكلانية الروسية التي ظهرت في ما بين 1915م و 1930م على يد مجموعة من الباحثين الذين تبناوا الفكر الشكلاني و حاول أن يؤسسوا لهذه المدرسة عبر مرجعيات فكرية سعت إلى ابراز دور المدرسة الشكلانية في الأدب و نذكر على سبيل المثال حلقة براغ اللغوية و مجموعة تارتوالسيمائية

الكلمات المفتاحية: الشكلانية – النقد - الأدبية – الشعرية.

Abstract:

Western criticism knew different stages on different stations, which resulted in the emergence of several different critical approaches that differed in their intellectual views, as it opened the door to conflict and conflict in the monetary arena in which the conflict between the monetary sects, as was the credit of one doctrine over another, every critical school appeared on the shreds of a school Other and perhaps the most important of these schools is the Russian Formal School that appeared between 1915 and 1930 by a

group of researchers who adopted the Formalist thought and tried to establish this school through intellectual references that sought to highlight the role of the Formal School in literature. We mention, for example, the Prague Circle Linguistics and Tartu Semiotics Group

Keywords: Formalism - Criticism - Literary - Poetics

1. مقدمة:

جاء في تعريف الشكلانية على أنها تيار تنظيري أدبي ظهر ما بين 1915 و 1930 كان من بين أعلامه باختين، أو بيراك، إنخمباوم، ف. بروب، تينيانوف، شخولوفسكي، ف. فينوغرادف. وتعتمد (الشكلانية)، في تحليلها على الوصفية / الشبه - إحصائية / تراكيب الأعمال الشعرية / بنيات العمل .

كما تضع (الشكلانية) الروسية، مبدأ الإلتصاق بالنص الأدبي، من منظور بنيوي، يعالج الشكل على حساب المضمون.¹ ما يمكننا أن نستقيه من هذا التعريف للشكلانية الروسية على أنها عصاره مجموعة أفكار لأدباء أرست معالم نظرية نقدية في التراث النقدي الغربي . ويُعرّفها جميل الحمداوي على أنها " ظهرت النظرية الشكلانية رد فعل على هيمنة المقاربات النفسية والوسوسولوجية والتاريخية والإيديولوجية على النقد الأدبي الغربي لأمد طويل..... الذي دفع الشكلانيين إلى دراسة الأدب، باعتباره بنية جمالية مستقلة، أو نسقا بنيويا بسيطا أو مركبا...."² أي أن ظهور الشكلانية كان نابعا من خلفيات ذهنية وكذلك لتحرير الأدب مما يعانيه من بقية المناهج الأخرى على غرار المنهج النفسي والمنهج التاريخي ودراسة الأدب من ناحيته الجمالية لاغير . الشكلانية الروسية هو مصطلح أُطلق على مجموعة من النقاد الروس حاولو إبراز واطهار الأدب الروسي إلى الساحة الأدبية خلال الحرب العالمية الأولى، "كما كانت لهم صلة وثيقة ببعض الإتجاهات التي سبقتهم في الشعرية الروسية أمثال نظرية أ.بوتيبينا A.potebnya في اللغة الشعرية أو شعرية أ فيشيلوفيسكي A.veselovsky التاريخية، أو موسيقا الشعر لدى الدارسين

¹ معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت لبنان، ط1، 1985

² النظرية الشكلانية في الأدب و النقد و الفن، جميل الحمداوي، شبكة الألوكة، د.ط، ص4 (بتصرف)

من الشعراء الرمزيين مثل أ. بيلي Belyj، و بربوسوف V.Bryosov¹ هذا ما يعكس العلاقة التي كانت موجودة بين الشكلانية و غيرها من الإتجاهات التي كانت سائدة في ذلك الوقت ، و هذا ينم عن توسع الدائرة الفكرية لدى الشكلانيين و استفادتهم من تجارب غيرهم في بلورة افكارهم في الساحة الأدبية .

نشأة الشكلانية الروسية :

نشأت المدرسة الشكلانية في ثانيا حلقتين هما حلقة موسكو اللغوية سنة 1915 و الجماعة الثانية أوبواز Opojaz (اختصار للعبارة الروسية جمعية دراسة اللغة الشعرية)² بقيادة رومان ياكسون و فيكتور شكولفسكي و بوريس اينبوم Boris-Eikenboum الذين أسسوا المدرسة الشكلية الروسية . كانت غاية هؤلاء الجماعتين هو هدف مشترك بينهما ألا و هو العمل على دراسة اللغة و تحريرها مما كانت تعانيه قبلهم . حيث عارض الشكلانيين الروس بأن الأدب فيض من روح المؤلف أو وثيقة تاريخية اجتماعية ، أو تجل لمنظومة فلسفية ما³ إذن هي دعوة إلى استقلالية الأدب عن السياقات الخارجية المحيطة به و ابعاد كل من السياقات التاريخية و الإجتماعية والفلسفية عن الأدب و تركيزهم على دراسة النص من ناحيته الشكلية أي لغوية فقط .

أعلام الشكلانية الروسية :

رومان جاكسون (Roman Jakobson) (1896-1982م) أحد اقطاب الشكلانية الروسية الذين اهتموا بنظرية الأدب. كما عُدَّ أحد أعمدة الفكر اللساني في في القرن العشرين، وكان أسهامه جليا في التحليل البنيوي في ميادين: اللغة والشعر والفن.⁴ حيث كانت له مساهمة فعالة في تثبيت أصول المدرسة الشكلانية .وقد بنى مسيرته العلمية ثلاث مراحل أساسية هي: مرحلة حلقة موسكو اللسانية (1915-1920م) التي اندجت في الأوبواز؛ ومرحلة حلقة براغ

¹: ك. نلوف - ك. نوريس - ج. أوزبورن، موسوعة كامبريدج، جابر عصفور، المشروع القومي للترجمة 33

² النظرية الأدبية المعاصرة ص 26

³: ك. نلوف - ك. نوريس - ج. أوزبورن، موسوعة كامبريدج ص 33

⁴ ينظر : النظرية الشكلانية في الأدب و النقد و الفن ، جميل الحمداوي ، شبكة الألوكة ، د.ط ، ص 45

بتشييكوسلوفاكيا (1920-1930م)؛ ومرحلة التدريس بالولايات المتحدة الأمريكية في جامعة هارفارد ومعهد ماساتشوستس للتكنولوجيا (MIT). وفي هذه الفترة بالذات، انشغل باللسانيات العامة، وتدريس اللغات والآداب السلافية.¹ أي اتجأه إلى ميدان اللسانيات محاول تطوير بحثه في هذا المجال .

أهم المؤلفاته:

ترك رومانجاكسون مجموعة من الدراسات والكتب القيمة، مثل: (الشعر الروسي الحديث)/ 1921م، و(حول الشعر التشيكي)/ 1923م، و(أبحاث في اللسانيات العامة)/ 1963م، و(ثمانية أسئلة حول الشعرية) / 1977م... حيث أفاد الساحة الأدبية والنقدية بهذا الرصيد المعرفي الذي خدم به الساحة الأدبية .

أهم مبادئه الفكرية :

- الأدبية : و هي ما يجعل من عمل ، عملاً أدبياً ، و يضعف من مبدأ السببية مباشرة بين ظروف الكاتب و إنتاجه الأدبي بتغيير دوافع الإنتاج لا إنتاج ذاته² أي أن العمل الأدبي مجرد من كل السياقات و كذلك علمية الطرح و موضوعيته و تجريده من كل ذاتية قد تلحق به .

-الفونولوجيا : حيث عرج الى تعريف الفونيم على أنه حزمة من الملامح التمييزية³ اي إهتمامه بالجانب المورفولوجي للكلمة ومن هنا اطلق على الشكلانيين تسمية المورفولوجيون .

الشعرية : هناك من عرفها على أنها هي الأنشائية أو البيوطيقا و يأتي تعريف الشعرية عند رومان جاكسون على أنها " هي العلم الذي يشمل كل الأنساق والبنيات اللفظية ولكي نستوعب مختلف البنيات كان لزاماً عليها ألا تحتزل في جملة أو تكون مرادفة للنحو فهي لسانيات الخطاب أو

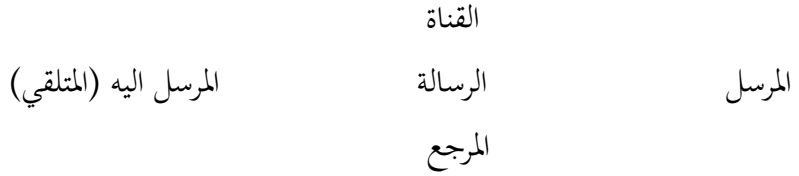
¹المرجع نفسه ص39

² معجم مصطلحات الادبية المعاصرة سعيد علوش ص32

³ محاضرات في علم اللغة الحديث ص 170

لسانيات فعل القول "1 ما يمكن أن نستقيه من هذا التعريف على أن رومان ياكبسون يركز على الفردة الأدبية .

وظائف الإتصال عند جاكبسون :وضع رومان جاكبسون ستة مرتكزات لحدوث عملية التواصل وهي : المرسل و المرسل إليه والقناة و المرجع و الرسالة والسنن ² فهذه هي العناصر الرئيسة في بلورة عملية الاتصال و يمكن أن تمثل لها بالمخطط الأتي :



فهذا المخطط يبرز العملية التواصلية في نظر ياكبسون حيث تتحقق عملية التواصل وتنتج لنا وظائف و هي كالآتي :

- الوظيفة التعبيرية Expressive

-الوظيفة الإفهامية Conative

-الوظيفة المرجعية Référentiel

-الوظيفة الإنتباهية Phatique

-الوظيفة ماوراء اللغوية Metalinguistique

- الوظيفة الشعرية ³ Poétique

اذن ما يمكن ان نستقيه بأن رومان ياكبسون قد إهتم بالوظيفة الشعرية التي هي أساس العملية الأدبية في نظره و هي التي تكشف عن جمالية النصوص.

إيخنباوم Boris Eichenbaum

¹،قضايا الشعرية،رومانجاكبسون ص08

²ينظر : النظرية الشكلانية في الأدب و النقد و الفن ،جميل الحمداوي ، شبكة الألوكة ،د.ط

³ الشعرية بين تعدد المصطلح و اضطراب المفهوم ،خولة بن مبروك ، مجلة المخبر،أبحاث في اللغة و الأدب الجزائري ،العدد التاسع

بوريس ميكايوفيتش إينخباوم (Boris Eichenbaum) (1886-1959م) من أهم أقطاب الشكلانيين الروس الذين ارتبطوا بمدرسة أوبياز (Opoyaz)، رفقة فيكتور شلوفسكي. وقد انصب اهتمامه كثيرا بتاريخ الأدب الروسي. و أحد منظري الأدب، وقد اقتصر اهتمامه على دراسة بنيات الشعر والسرد معا. وقد كان كذلك أستاذا بجامعة لينينغراد، وأستاذا بمعهد تاريخ الفن في المدينة نفسها. واشتغل بنشر الكتب الروسية الكلاسيكية.¹

ومن أهم أعماله الأدبية والنقدية والثقافية، في الفترة الشكلانية، نذكر: (ميلوديا الشعر الغنائي الروسي) / 1922، و(أنا أخماتوفا) / 1923، و(خلال الأدب) / 1924، و(أدب) / 1927، و(يوميتي) / 1929، و(ليرمانتوف) / 1924، و(دراسات حول ليرمانتوف) / 1960، و(تولوستوي) في ثلاثة أجزاء / 1928-1931-1960م².

إينخباوم هو أحد مؤسسي الفكر الشكلاني وأحد واضعي مبادئه وأسس الفكرية رفقة أدباء مجموعة أوبياز.

أهم مبادئه الفكرية :

- قضية المنهج الشكلي: رفض إينخباوم فكرة أن الشكلانية الروسية هي فكرة قائمة على المنهج وقد اختلف مع كثير من الأدباء في هذه النقطة حسب تقديره على أن الشكلانية "هو علم أدبي مستقل، مؤسس على خصائص تحدد المادة الأدبية"³ أي أنه ملتزم على التركيز على أدبية النص وليس شكله و رفضه لقضية فصل الشكل عن المعنى. وكذلك عرضه لقضية الخصوصية الأدبية بقوله "إنهم لم يكونوا شكلانيين وإنما كانوا مخصصين"⁴ فهذا على تفنيد إينخباوما لإسم الشكلانيين الذي اطلق عليهم وتمسكه بفكرة الخصوصية الأدبية.

¹ ينظر: النظرية الشكلانية في الأدب و النقد و الفن، جميل الحمداوي، شبكة الألوكة، د.ط.ص 19

² ينظر : النظرية الشكلانية في الأدب و النقد و الفن، جميل الحمداوي، شبكة الألوكة، د.ط.ص 19

³ موسوعة كامبريدج ص 35

⁴ النص و الأسلوبية ص 25

علاقة **يخنباوم بالشعر**: انصرف يخنباوم إلى دراسة الشعر على أنه الحامل للأدبية التي يبحث عنها الشكلانيون "فالشعر لغة منتظمة في كل نسيجها الصوتي والإيقاع أهم العوامل في بنائه " فهذا القول يحيلنا على تركيز يخنباوم على عاملي التركيب الصوتي والإيقاع في القصيدة عند دراسته لها ، حيث قام بدراسة نماذج شعرية متعددة ومتنوعة وهي دراسته " ¹ قضايا نظرية متعلقة بالشعر، وخاصة النبر والنظم والعلاقة الموجودة بينهما، ثم التركيز على قضية الأصوات في الشعر، وارتباطهما باللفظ، وقضية المعجم والدلالة الشعرية" أي أن تركيزه كان موجها إلى ثنائية الخطائية والتركيب والعلاقة الموجودة بينهما والدلالة التي تحملها كل من الخطائية و التركيب .

يخنباوم و السرديات :

اتجه يخنباوم إلى مجال السرد من وجهتين مختلفتين تماما قد ميز ما بين السرد الحكائي و السرد التشخيصي حيث عُد الأول مجموعة المزاحات ، والجناسات ، بينما الثاني أنساقا، وإماءات ، مبتكرا تلفظات فكاهية فذة وإبدالات ، وهُبات نحوية شاذة² ما نلاحظه بأن يخنباوم فصل بين المتن الحكائي والمتن السردى ، في قالب آخر يمكننا القول أنه قد فصل بين القصة والرواية . ولو عدنا إلى مقرنة ما بين الشعر وعند يخنباوم نجد قد ركز في دراسته لكلاهما على الجانب اللساني في عرض قضاياهم وكذلك جعل بعض المشتركات فيما بينهم.

فيكتور شلوفسكي:

عُدَّ فيكتور شلوفسكي (Victor Chlovski) (1893-1984م) أحد رواد وعلماء نظرية الأدب، ومن أهم مؤسسي الشكلانية الروسية. و أحد أبرز الفاعلين في جمعية دراسات اللغة الشعرية، أو ما يطلق عليها بملقعة الأبوياز (**OPOYAZ**) بسان بيتيرسبورغ، وألف عدة روايات أوطوبيوغرافية في شكل سير ذاتية. فضلا عن هذا، فقد كان ناقدا سينمائيا، وكاتبا

¹ النظرية الشكلانية في الأدب و النقد و الفن ،جميل الحمداوي ، شبكة الألوكة، د.ط، ص27

² ينظر ، إنشابة الخطاب ، في الرواية العربية الحديثة، محمد الباردي ، مركز النشر الجامعي ، الجمهورية التونسية، 2004، ص03

للسيناريو.¹ هذا ينم عن المخيلة الواسعة التي يتميز بها كونه إقتحم مجال السينما الذي يعرف عنه كثرة التخيل فيه و ابتكار المشاهد .

أهم الركائز الفكرية عند شلوفسكي:

ترجم الشكلانيون فكرة أن النص هو مجموعة من الوظائف تتحكم فيها الأدبية وتبلور من خلالها ، وتكمن أهميتها في ابراز دور اللغة² وإذا نظرنا إلى هذه الأفكار التي يحملها شلوفسكي نجد بآها مساعي حثيثة لتحرير الأدب من القيود التي فُرضت عليه وتخليصه من المناهج الأخرى مثل النفسي و التاريخي والإجتماعي ...

وقد ترجم شلوفسكي وشركائه الفكرة القائلة " علم الأدب هو دراسة قوانين الإنتاج الأدبي"³ أي أن علمنا الأدب تجعلنا نبحث عن القوانين التي تتحكم في إفراز المنتوجات الأدبية بواسطة التأويل أو التفسير أو التحليل أو المقاربة فيما بين مختلف الأجناس الأدبية . انصب إهتمام الشكلانيون على "نظرية الفن القائمة على المحاكاة " وهذا القول يوحي بأنهم يسعون إلى الأدب مرآة عاكسة للواقع في صورة تخيلية تكون في قالب الأشكال الأدبية (شعر، قصة، مسرحية...)

المرجعيات الفكرية للشكلانية :

المتتبع لمسار الشكلانية يجد بأن هذه النظرية انطلقت من مرجعيات فكرية ناثرة على خلفيات ذهنية كانت سائدة قبلها " فإن المدرسة الشكلانية الروسية نقلت هائلة ، وبعيدا عن نظرية الفن السائدة السابقة عليها، وهي نظرية كانت تقوم على المحاكاة"⁴ أي أنه تنفيذ صريح وقطيعة مع نظرية الفن التي سبقت المدرسة الشكلانية وعدم الإعتراف بقواعد وأسس بناء نظرية الفن كليا. سعيًا من

¹ ينظر، نفسه

² ينظر، النص و الأسلوبية ص25

³ ك. نلوف - ك. نوريس - ج. أوزبورن، موسوعة كامبريدج ص43

⁴ ك. نلوف - ك. نوريس - ج. أوزبورن، موسوعة كامبريدج ص33

أصحاب المدرسة الشكلانية الانتقال من المنهج الى العلم وهذا بسبب ما أحدثته الدراسات التي سبقتها و هي كالتالي :

*التغريب:singularisation:

ظهر مصطلح التغريب مع الشكلاني الروسي شكولوفسكي حيث وُظف هذا المصطلح لأول مرة في رواية "رحلات جفلر" لسويفت¹ حيث أنه يركز على كيفية تحويل الفني للمادة غير الأدبية وما يتماشى والذوق الفني الأدبي .

وقد قام شكولوفسكي بتحليل رواية (ترسترامشاندي) للرونيشتيرن حيث اعتمد على طرائق جديدة لكسر الألفة التي كانت موجودة وكذلك تغريب الأحداث الموجودة في الرواية و هذا عبر استعمال مجموعة من التقنيات نذكر على سبيل المثال منها القطع و الإبطاء أو الإطالة²، و من هنا تكون الغاية الإدراكية للعمل الأدبي قد بلغ مرتبة الغاية الجمالية التي يبحث عنها الأديب .

*القص:narrative:

إن ظهور مصطلح القص تعلق بظهور الأجناس الأدبية (الرواية - القصة - الحكاية) و ارتبط هذا المصطلح بمصطلح "الحبكة" الذي عرفه اريسطو بقوله "هو ترتيب الأحداث الواقعة"³ أي أن في نظره هي من تقوم بتنظيم الأحداث ووقائها التراجيدية داخل العمل الأدبي وهي من تتحكم في تصنيف مراحل القص .

ويفرق الشكلانيون بين " الحبكة " و " الحكاية " حيث يؤكدون أن (الحبكة) هي التي تنفرد وحدها بالخاصية الأدبية، أما القصة أو " الحكاية " فهي مجرد مادة خام تنتظر يد الكاتب البارع الذي ينظمها⁴ أي أن الحبكة هي من تقوم بإعادة تكرير المادة الخام للحكاية عبر الكاتب ووفق ما تقتضيه العملية السردية .

¹ ينظر، النظرية الأدبية، رمان سلندر، ص30

² المرجع نفسه، ص31

³ المرجع نفسه ص32

⁴ النظرية الأدبية المعاصرة، ص32

ومما يمكن أن نستصيغهم دراسة شك洛夫سكي عن رواية (ترسترامشاندي) "أن الحكبة فيها ليست مجرد ترتيب لأحداث القصة، بل هي أيضاً كل " الوسائل " المستخدمة لمجرى القص وإبطائه فهي إذن تحيلنا إلى التركيز على شكل الرواية¹.

ومن خلال هذا الطرح يتضح بأن الحكبة من منظور الشكلانيين يخالف إما اختلاف من المنظور التي عرفها بما اريسطو اذن فهو ضرب مخالف تماماً لما جاء به اريسطو وهو كذلك كسر لرتابة الألفة التي اعتاد عليها فهنا يتجسد مصطلح التغريب التي تبنته المدرسة الشكلانية في بناء العمل الأدبي.

*التحفيز motivation:

إنّ بناء أي عمل أدبي يتطلب تضافر مجموعة من العناصر لكي تحقق الغاية الجمالية والأدبية في العمل الأدبي وهذا ما تجلّى عند الشكلانيين باسم " الحافز " motif و هناك نوعين من الحافز الحافز الحر والحافز المقيد² فالأول في نظر الشكلانيين هو أنه يكون خارجاً عن إطار العمل الأدبي وهذا ما نعتبره في العمل الأدبي كإنزياح أو مثير أسلوب في بناء العمل الأدبي أما الثاني والذي يعتبر قطعة أساسية في بناء العمل ولا يمكن الإستغناء عليه. وقد ظهر مصطلح الحافز كأول مرة مع بوريس توماشفسكي Boris Tomashevsky حيث أطلقه على أصغر وحدة من الحكبة³. أي أنه جعله أحد العناصر المشكلة للعمل الأدبي وبناءه بناءاً درامياً يخدم تسلسل العمل الأدبي مهما كان جنسه ويزيد من صورة جماليته وتشجيع القارئ على قراءته وتفاعل معه.

العنصر المهيمن: The dominant

¹ بتصرف، النظرية الأدبية المعاصرة، ص33

Motif: مصطلح موسيقي و يقصد به اللحن المميز

² ينظر ك. نلوف - ك. نوريس - ج. أوزبورن، موسوعة كامبريدج

³ ينظر المرجع نفسه ص35

عرّف رومان ياكبسون العنصر المهيمن بأنه "العنصر الذي يحتل البؤرة من العمل الفني فهو الذي يحكم غيره من العناصر أو المكونات و يحددها و يحورها " ¹ نفهم من خلال هذا التعريف بأن العنصر المهيمن في العمل الأدبي هو الطاغي على بقية العناصر وهو الذي يرسم خارطة بناء العمل الفني أو الأدبي. ويحيلنا هذا التعريف كذلك إلى أن مصطلح التغريب الذي ظهر مع الشكلانيين كان غايته التجديد في العملية الإبداعية و كذلك لتحرير الأدب من القيود التي يتخبط فيها. وكذلك تحدث رومان ياكبسون بأن النظرية الأدبية يمكن أن يحكمها عنصر مهيمن غير أدبي أي خارج عن النسق الأدبي ² الهدف الذي تقف خلفه الشكلانية من خلال العنصر المهيمن هي الغاية الجمالية وكذلك إراز دور القارئ و إعطائه حرية في تأويل وقراءة العمل الأدبي .

¹ مرجع سابق ص36

² النظرية الأدبية المعاصرة